مقدمة

أسطورة الشعب المختار

قد لا تكون هناك أسطورة فى تاريخ البشرية لها ذلك التأثير مثل أسطورة «الشعب المختار»..

وبينما تحمل الفكرة معنى تكليفيًا بأن يقوم ذلك «المختار» بتبليغ رسالة إلهية، وضرب النموذج والمثل البشرية، فقد حملها البعض على أنها تفضيل إلهى له، بصرف النظر عما يقول ويفعل، وينظر إلى «الآخر» من علٍ، فهو ذلك «المرفوض» أو «المستبعد».

وسببت تلك الأسطورة عند بعض اليهود تكبّرا على «الآخر» واحتقارًا له واستهانة بحقوقه.. فكان رد فعل ذلك «الآخر» كراهية ونفورًا من الشعوب(*)، مع مصادرة الأموال، بل والأرواح.. تكررت تلك الدورة فى أوروبا عدة مرات على مدى قرون طويلة..

كذلك اعتنق الأنجلوساكسون تلك الأسطورة.. فكانت البروتستانتية هى «المختار» من الكاثوليكية.. وأصبحت الكاثوليكية هى بابل العاهرة.. أو مصر و فرعونها.. ثم انشق البيوريتانز عن انجلترا، فأصبحوا هم إسرائيل «المختار» وانجلترا هى بابل العاهرة، ومصر وفرعونها.. ثم أصبحت الولايات المتحدة ـ فى حرب استقلالها عن بريطانيا ـ هى إسرائيل «المختار» وبريطانيا وملكها بابل العاهرة ومصر وفرعونها.

(*) فى معظم فترات تاريخ اليهود، كانوا على صلات وثيقة بالحكومات فى معظم أنحاء العالم، بينما كانوا فى حالة «الجيتو» مع الشعوب.

ونظر الأنجلوساكسون لبقية العالم ـ آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ـ على أنهم ذلك «المرفوض»، وعلى «المختار» حمل وعبء «الرجل الأبيض» فى تمدين وتحضير ذلك الآخر «المرفوض». وبالطبع كان للمصالح الاقتصادية دورها ودافعها لتبنى تلك الأسطورة، خاصة مع ضعف ذلك الآخر ـ آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ـ مقارنة ببقية دول أوروبا..

وبجانب تلك الأسطورة، هناك قناعة عند البعض الآخر فى أوروبا وأمريكا بالداروينية الشاملة.. أى البقاء للأصلح، فى كل المجالات.. الثقافة، القوة العسكرية، القوة الاقتصادية والمالية...

ويعتنق البعض الثالث ليبرالية انتقائية .. تظهر فى مناسبات وتختفى فى مناسبات.. تنطبق على البعض، ولا تنطبق على البعض الآخر..

تتنازع تلك الاتجاهات الرئيسية ـ من بين اتجاهات ودوافع أخرى ـ السيادة فى أوروبا الغربية والولايات المتحدة، وبين اليهود.. ونرى حصيلة ذلك فى الشرق الأوسط.. أو قل ندفع ثمن ذلك فى الشرق الأوسط..

وفى هذا الكتاب.. يستعرض الصحافى الإنجليزى الكاثوليكى «كليفورد لونجلى» تلك الأسطورة التى يرى أنها شكلت انجلترا وأمريكا.

وتباع النسخة الإنجليزية من هذا الكتاب ـ الذى طبع مرتين ـ بسبعة جنيهات وتسع وتسعين پنس إنجليزى، أى ما يزيد عن ثمانين جنيهًا مصريًا، وطبعتنا المصرية فى أجزائها الثلاثة تباع بـ٢٧ جنيهًا فقط، أى أكثر قليلا من جنيهين استرلينى.

عادل المعلم